المجمع الخلقيدوني

اليوبيل المئوي الخامس عشر

(تشرين الاول ٤٥١)

بقلم الاب بولس موترد اليسوعي

حوالي نهاية القرن الرابع تغنى « ܩܘܪܝܠܘܢܐ » قوريلونو احد تلاميذ القديس افرام على ما هو مرجح بورع مسيحي بلاده وما احرزه الانجيل من انتصارات بين ظهراني شعوب العالم المعروف آنذاك. ولقد تغنى ذلك الرجل الذي لم تنقف عنه بيضة ضمير بقصيدة تمد من عيون الادب السرياني : « هوذا تعليمك ينتشر في فارس ورسالتك تزدهر نامية في اشور ، ها هوذا توما يعلّم في الهند وسمعان يبشر في روما وها هم ذو الاغارقة يذيعون اسرارك والرومانيون يفسرون اقوالك ، ها هوذا صليبك تحكم بين الملوك ومحبتك تنتشر بين الملكات هوذا الكون يخضع لسلطانك والعالم يستقرّ في حبّك (صلاة للوقاية من الجراد Ed. Bickell Z. D M. G XXVII. (1873), p. 590.)

ولقد تغافلت هذه النظرية التفاؤلية عن ان تشير الى ما كان يظلم وجه ذلك الجو في عهدها ، حيث شهد العالم المعروف آنذاك الوثنيين المتصلبين في عنادهم والمنشقين والاريوسيين والنوفاسيين واتباع ابوليناير وماني واللاادريين والمارسيونيين المتأخرين ، تلك الفرق المعارضة التي نزلت بها ضربة قاصمة فاخذت تتضاءل وتنحل شيئاً فشيئاً .

وفي ذلك العهد كانت مجموعة المسيحيين تنعم بالوحدة الاخوية من افريقية واسبانيا وبلاد الجلالقة « فرنسة القديمة » الى الخليج الفارسي وما وراءه : وحدة لم تترك لنا الا ذكرى الحنين اليها والتهيم بها .

وعجزت تلك الوحدة الثمينة بعد قليل ثلاث ضربات كبرى ثم قسمة مجوتة . لان منازعات القرنين الخامس والسادس حول طبيعتي المسيح كانت نتيجتها انفصال النساطرة واصحاب القول بالطبيعة الواحدة عن الكنيسة ، كما افضى انشقاق فوتيوس وميشال سرولير الى انفصال بقية الشرق والشعب اللاتي عن رومة .

ولقد جاء في القرن السادس عشر لوثير وكالفان وهنري الثامن والفئات البروتستانتية تزيد في بلة الانشقاقات انشقاقات جدية لا تقل عنها خطورة .

❖

نكاد لا نفكر اليوم في تلك الخصومات حول طبيعتي المسيح بقدر ما نفكر في الانشقاقين البيزنطي والبروتستانتي وذلك بصرف النظر طبعاً عن ضروب الالحاد والاستخفاف بالدين القائمين في عصرنا . اجل لقد كانت تلك المخاصمات في ايامها ازمة خطيرة حقاً لاننا ما برحنا نشعر بمؤثراتها حتى الساعة . فهي مردّ انعزال الكنائس الاشورية والنسطورية والسورية الارثوذكسية او اليعقوبية والارمنية والقبطية والحبشية عن الكنيسة الرومانية .

ولقد نجم عن ذلك الشر بعض الخير اذ في وسط تلك التقلبات التي لا نستطيع ان نلم اليها الّا باقتضاب في مثل هذا المقام اوضح المجمع الخلقيدوني الذي افتتح في الثامن من شهر تشرين الاول سنة ٤٥١ مفهوم عقيدة التجسد الرئيسية ايضاحاً اشد جلاء .

وبمناسبة انقضاء خمسة عشر قرناً على المجمع الخلقيدوني ما علينا الّا ان نرحب بعمله ذلك العظيم .

❖

طبعاً من المؤكد ان اكبارنا بحق نتيجة المجمع المبرورة لا تكفينا عن بعد لنستعيد ذكراه وانّا لا بدّ لنا من التصريح انه قلما اتفق ان اشتد تماسك الاحداث ليأخذ بعضها برقاب بعض في حياة الكنيسة مثلما اشتد في تلك الفترة حتى كانت سبباً لتدخل الكثيرين من ذوي النفوذ فيها فزادوا طينة سوء التفاهم بلّة وعملوا على تجسيمها .

واذا كانت قضية الاعتقاد والايمان بتجسد كلمة الله التي على كل مسيحي ان يدين بها بعيدة عن ان تكون السبب الوحيد لتلك المشادات والاضطرابات، فانها لم تكن فقط في الواقع، من الذرائع التي توسّل بها الاساقفة لباوغ سؤلهم والاحتفاظ باولية كراسيهم تحفزهم الى ذلك وطنيتهم المصرية او السورية او من جراء سياسة الاباطرة البيزنطيين الخرقاء التي كانت لا تستقرّ على حال .

ومنذ مطلع عهود الكنيسة كان المؤمنون الحقيقيون الذين استمدوا تعليمهم من الانجيل ورسائل القديس بولس يفهمون بيسوع المسيح انه انسان حق والله حقّ وابن الانسان وابن الله ومع ذلك لم يكن الا مسيحاً واحداً . اما الذين ينكرون الوهية المسيح ويعتقدون ان الفقراء وحدهم يستطيعون الخلاص « Ebionites » والذين ينكرون طبيعته الانسانية الحقيقية اللادريون « Docètes » فهؤلاء ليسوا مسيحيين قط ولا يجوز ان نعدّهم حتى بين المنشقين « الهرطقة » .

وفي اثناء احتدام المناقشات ربما نسبوا الى النسطورية المذهب العقلي الفظّ الذي ينكر الوهية المسيح او ربما نسبوا مذهب الذين ينكرون طبيعته الانسانية الى القائلين بالطبيعة الواحدة وفي كلتا الحالتين لم يتفق للانشقاق « الهرطقة » ان اوغل الى هذا الحدّ في الضلال .

ولما كانت القضايا الجوهرية اصبحت مسألة بصحتها كان لا بدّ من التوفيق بينها ، واتخاذ فكرة شديدة الوضوح عنها لما اتاح الفرصة للتردّد وقيام ضروب الضلال وسوء التفاهم اذ قام النساطرة والارثوذكسيون والقائلون بالطبيعة الواحدة يراشق بعضهم بعضاً التهم ويدعي بعضهم ان الفريق الآخر على ضلال جسيم وهم يعتقدون انهم يدافعون بعملهم هذا عن الحقيقة .

وان المعنا الى هذه الامور فانه ليس من سبيل للشك في ان حرصهم على الايمان الحقيقي لم يكن العامل الوحيد الذي اثر على العقول وان الخصام على اثبات قضايا لاهوتية او نقضها لم يكن نوعاً الا ذريعة لاعلان خصومات اخرى تهدف الى غايات ثانية .

وكانت السلطة المدنية تتدخل في كل شؤون الحياة الكنسية في الامبراطورية البيزنطية من الامبراطور نفسه الى وزرائه وحتى المقربين منه . وفي الواقع انه منذ عهد مجمع نيقية لقد كان الامبراطور هو الذي يقرر الدعوة لعقد مجمع وهو الذي يسهّل التئامه او يعاكس ما اتخذ من تدابير فيتولى بنفسه اتخاذ شتى التدابير الكنسية ويقرّر حتى المبادئ الاعتقادية ليجعلها تحلّ محلّ غيرها .

وهذه السيطرة المدنية كانت تتوخى مباشرة تعزيز التعليم الذي يعتنقه الامبراطور — الذي لم يكن دائماً تعليماً مستقيماً ، كما كانت تهدف الى مماشاة رغائبه الشخصية ووجهات نظره السياسية لتوجد بصورة غير مباشرة سبباً خطيراً جد الخطورة للمناقشات والمنازعات في كل الكنيسة وذلك منذ اليوم الذي جعل فيه قسطنطين بيزنطية عاصمته الجديدة .

وقديماً لم تكن هذه المدينة ذات شأن خطير اذ لم يكن فيها مركز هام لاحدى الاسقفيات وانما كانت تابعة لكرسي نيكوميديا الاسقفي اما الكنيسة الجامعة فلم تكن تعرف مع روما في الغرب الا كرسي اسقفية في الشرق هما انطاكية والاسكندرية المدينتان اللتان كانتا في قرني الكنيسة الاولين من اعظم المدن من حيث عدد سكانها ومن حيث دورهما في السياسة الرومانية، وقد امتازتا في كونهما تمتان في اصلها الى كون الرسل قد اتخذوا فيها مقرًا اذ كانت انطاكية مقر الكنيسة الاول بعد اورشليم عقب ان جاءها بطرس وتولّى رئاسته فيها شخصياً اما الاسكندرية ففخرها قائم على كونها كانت كرسي القديس مرقس تلميذ القديس بطرس ومن ثم اعتزت بذكرى القديس اثناسيوس الشهيرة .

وحيال تلك الاوضاع التي بدت كراهنة لم يكن من اسقف القسطنطينية الذي كان تابعاً بسيطاً لكرسي اسقفية بنكوميديا من الوجهة الحقوقية الا ان شعر بنفسه وهو راعي المدينة الامبراطورية القائم على مقربة من الملك ذي الجبروت الحسنة علائقه به انه الرئيس المدعو لتزعم جميع الكنائس بسبب نمو القسطنطينية بسرعة نموًا عظيماً لتصبح مركز جميع الشؤون فانه لم يشعر بنفسه انه مستقل عن اي متروبوليت كان فحسب بل انه المدعو لتدين له جميع الكنائس المجاورة التي كانت تتألف مجموعة ، حتى ذلك العهد ، حول كراسي

الابرشيات البسيطة . فلم يطل الامر بالقسطنطينية حتى اصبحت مقرًا اسقفيا ثالثا ومقرًا بطريركيًا الى جانب انطاكية والاسكندرية فتجاوزت على حقوقها تدريجًا ومن ثم هددتها بالتفوق عليها كما هددت ايضاً خليفة بطرس اسقف رومة بان تأخذ الاولية على كرسيه .

أوَ لم تكن القسطنطينية رومة الجديدة اشد قوة من القديمة واعظم ازدهارًا .

ولقد احتدم الجدل الاعتقادي بين الاسكندرية والقسطنطينية وعظمت المنافسة بينها وساد التفاهم بين هذه الاخيرة وروما .

ومما كان له تأثيره العميق الخفي في ذلك التنافس وتلك المشادات الناجمة بخاصة عن ازمة اصحاب القول بالطبيعة الواحدة في المسيح حافز وطنية المصريين والسوريين الذين شعروا بانهم ليسوا اخوانًا لسادتهم في بيزنطية ولا من جنسهم .

⁂

لا سبيل الى فهم الاوضاع التي عقد بسببها المجمع الخلقيدوني ولاسيا زيغان اوطيخا الذي كان السبب في التئامه اذا لم نربط بين حوادث تلك الظروف وتاريخها الطويل . فقبل الاريوسية ارتقى الى سدة البطريركية الانطاكية اسقف قليل الجدارة هو بولس السيساطي (٢٦٠—٢٦٨) الذي تبيّن بعدئذٍ ضلاله « هرطقته » وكان من اشهر رجال البدع . واقواله في الثالوث تكاد تحاكي ضلال سابليوس وبدا كانه اوهنَ جد الوهن الصلة بين الطبيعتين الالهية والانسانية في المسيح وذلك اذا ما استندنا في حكمنا عليه الى الفقرة التي عزاها اليه ليونس البيزنطي « الكلمة من اعلى والمسيح انسان من اسفل . . . فمريم لم تلد الكلمة بل ولدت انسانًا مساويًا لنا وافضل منا في كل شيء لان النعمة التي تحلّ عليه من الروح القدس كما يؤخذ من الوعود واقوال العهدين المكتوبة » وما هو الّا قرن حتى كان ابوليناير اسقف لاوديسة ، اللاذقية اليوم ، على نقيضه تمامًا فقال : لم يكن المسيح الّا الجسد من الانسان والنفس النباتية والنفس الحاسة « ψυχή » اما شخص الكلمة ذاته فيمارس فيه اعمال الجزء الاعلى من النفس الانسانية « πνεῦμα » وفكّر ان الوهية المسيح ووحدته ظلتا سليمتين على هذه الصورة .

وما قول بولس السميساطي باتحاد طبيعة المسيح الانسانية اتحاداً ادبياً محضاً مع شخص الثالوث الثاني وما منهج ابوليناير القائل بان المسيح ليس حقيقة انساناً الا « هرطقتان » تتميز احداهما تمام التمييز عن الثانية اما الاولى فيخيل الينا انها هرطقة نسطور وتلاميذه ومن قبلهم تيودور موبسيست (Théodore de Mopsueste) وحتى ديودور الترسي (Diodore de Tarse) اما الثانية فيبدو انه كان يميل اليها القديس كيرللوس الاسكندري والقائلون بالطبيعة الواحدة .

وفي سبيل اعطاء حكمنا بانصاف على الاولين والآخرين لا يسوغ لنا مطلقاً ان ننسب اليها مثل هذا الزيغان بدون تروّ . فعلماء الكنيسة الانطاكية الذين لم يكونوا قط ورثة افكار بولس السيساطي وانما شهروا باسم القديس يوحنا فم الذهب الكبير وعرفوا بالتفسير وبحرصهم على التفسير الحرفي قد كانوا اشد استشعاراً بحقيقة انسانية المسيح وبحقيقة الوهيته ولم يترددوا قط عن التدليل على هذه الثنائية بالعبارة : « طبيعتان » حتى يبدو ان شعورهم باتحاد شديد الوثوق وسام كل السمو بهاتين الطبيعتين في مسيح واحد قد كان مرهفاً كل الارهاف . ولقد اشاروا الى هذا الاتحاد بعبارة « شخص » على شاكلة ما فعل الترتيبون تماماً ومن ثم المجمع الخلقيدوني ، ولما كانوا يستندون الى تمييز الطبيعتين في تبحّرهم ولما كانوا شديدي الانهماك بدحض اقوال اللاادريين والمارسيونيين والابوليناريين لم يكن مفهومهم عن هذا الاتحاد في الشخص واضحاً .

واليك مثلاً مستمداً من مواعظ تيودور موبسيست في التعليم المسيحي « اجل لم يفكر آباء مجمع نيقيه ان طبيعة الابن الوحيد الالهية قد ولدت من امرأة وان بدءها كان من هذه الولادة ... فهم يتبعون الكتب المقدسة التي تتكلم باختلاف عن الطبيعتين وتعلّم شخصاً واحداً بسبب الاشتراك التام الذي نجم عن اتحاد الطبيعتين وخشية ان يبادر الى الاذهان انهم يقسمون الاشتراك التام الذي نتج للطبيعة الانسانية من جراء اتحادها بالاله.[1] » « فلو كانت كل

1) Studi e Testi 145. — *Les Homélies catéchétiques de Théodore de Mopsueste.* Reproduction phototypique du Ms. Mingana. Syr. 561, traduction, introduction, index par Raymond Tonneau O.P en collaboration avec Robert Devreesse. Città del Vaticano. Bibl. Ap. Vatic. 1949. Homélie VI, p. 135.

واحدة من الطبيعتين ابناً وربًّا لكان في مقدورنا القول انهما ابنان وربان بحسب ما فيهما من عدد اشخاص وبما ان احداهما هي ابن ورب بطبيعتها على حين ان الاخرى ليست لا الهاً ولا ربًّا واننا نعتقد ان الطبيعة الانسانية قد اتخذت هذا اللقب بسبب التحامها التام مع الابن الوحيد الاله الكلمة ، فلذلك نعترف بان الابن هو وحيد »[1] .

وظل الاعتقاد سائدًا وقتاً طويلاً بعد وفاة تيودور موبسيست انه قد كان مصدر ضروب الاضلال النسطورية نفسه وقد نسب اليه مجمع القسطنطينية الثاني ، سنة ٥٥٣ ، اقوالاً عدة تختلف نغمتها كل الاختلاف عن الاسطر التي ذكرناها .

ولن نكون من المغامرين اذا جعلنا حقيقة تلك النصوص موضع البحث بالنظر الى الظروف التي انعقد فيها المجمع وان نتساءل عما اذا لم تكن في المؤلفات التي حفظتها لنا منه الكنيسة الكلدانية شهادة اصدق على فكرته . ويظهر الى جانب اعتقاده المرهف بحقيقة وجود انسان كامل في المسيح ، له نفس الطبيعة التي لنا والى ايمانه الوطيد بالوهيته ، الوهية الابن المولود من الآب قبل كل الدهور ، تأكيده الذي لا يعتريه ريب للوحدة الحقيقية في المسيح ، هذه الوحدة الذي تجعله شخصاً واحداً .

ولقد ظل علينا ان نعرف ماذا كان تيودور ومدرسة انطاكية التي كان احد رؤسائها يفهمان بهذه العبارة نفسها . ما من شيء يخوّلنا الحكم على انهم لم يكونوا يرون فيها الا « شخص اتحاد » ورباطاً ادبيًّا محضاً او اتحاداً بالنعمة من نمط الاتحاد الذي يوحد انفس الابرار مع الله وان لم يكن بالدرجة ذاتها . بيد ان الفكرة التي لازمت بعدئذٍ عبارة كيرللوس « اتحاد بحسب الأقنوم » لطبيعة المسيح الانسانية بدون وجود خاص بها فقد ظلت غريبة عنه وليس لنا ما نواخذه به عليها .

وفي مثل هذا المقام هل توصل علمنا اللاهوتي الذي تبنى هذه الفكرة وعمقها باذلاً مجهودات جبّارة في تصورها تصورًا متافيزيقيًّا الى التمييز تمييزًا

1) Ibidem Homélie VIII, page 209.

حقيقي بين الجوهر والوجود او هل توصل الى ازالة سر ليبرهن بعده انه قد احاط بها عن كثب ؟ من المؤكد كلا .

ويبدو ان مدرسة الاسكندرية قد اقرّت منذ البدء بالوهية الكلمة وبوحدة المسيح المطلقة وسلمت بان فيه انسانية وانسانية كاملة لا التباس مطلقاً بينها وبين الالوهية وعقب عملها هذا رفضت كل بحث وكل محاولة لايضاح تميّز الاله عن الانسان بأية صورة كانت .

وشاء نكد الطالع ان يصادف الناطق باسم هذه المدرسة كيرللوس اقوالاً منسوبة الى القديس غريغوريوس العجائبي والبابا القديس يوليوس والقديس اثناسيوس ويقبلها كصحيحة وقد كانت مستوحاة من اتباع ابوليناير ومن فكرة ضالة ولا يصح استخدامها لتفسير مستقيم حقاً ومن جملتها العبارة التي قررها القدر وهي : « واحدة هي طبيعة الله الكلمة المتجسدة » .
« Μία φύσις θεοῦ τοῦ λόγου σεσαρκωμένη ».

وهذه العبارة المنسوبة الى اثناسيوس مكذوب هي بلا ريب من اقوال ابوليناير نفسه وتعرب بذاتها عن فكرة ضالة ولا سبيل لقيام الحجة الدفاعية المنطقية عن قولها : ان المسيح مركب من شخص الكلمة ومن انسانية غير كاملة على شاكلة النفس والجسد اللذين يؤلفان الانسان الكامل . اما كيرللوس واتباعه فلم يقرأوا فيها هذا وانما باعطائهم لكلمة « φύσις » معنى قوياً جداً قد فهموا انه اذا ما اريد بها المسيح فمن الواجب ان نفهم بها انه من طبيعة ليست كاملة فحسب ولكنها موجودة بذاتها ، فلو كان بمقدورنا اذن ان نتكلم ، في اثناء برهة من التعقل سابقة للاتحاد بين الكلمة وانسانية المسيح ، عن طبيعتين ، فلن يكون ذلك الا كفراً جديراً ببولس السميساطي واليهود والزنادقة الذين ينبغي لنا ان نقتفيهم اذا ما تكلمنا عن طبيعتين بعد ان تمّ التجسُّد ، عن طبيعتين في يسوع المسيح . والمشادة التي استحكمت بين نسطور ، وارث لاهوت انطاكية الاخرق ، وبين كيرللوس عالم الكلمة المتجسدة ، الذي لم يطاوعه معجمه الغريب ، لم تفض بهذا الاخير ولا بانصاره جميعهم الذين شدهتهم عبارة ابوليناير الزهوق وهم على اعتقاد اكيد انهم على الصراط

المستقيم الى ادراك فكرة اللاهوتيين الانطاكيين المستقيمة الا بكل صعوبة تلك العبارة التي جاءت تعرب بشكل آخر في استخدامها عن لفظة الطبيعتين.

ولقد توصل كيرللوس ، بما له من فكر واسع وزكانة لم يكونا لمحيطه ، الى فهم هذه العبارة والاتفاق مع الانطاكيين بعد مجمع افس. اما في حياته واما بعد مماته خاصة فلم يقتنع انصاره لا بلاهوت انطاكية-ولا-بتعليم كتاب ليون الصريح « Tome de Léon » الذي يحاكي لاهوت الانطاكيين ولا بتعريف خلقيدونيه لاعتقادهم المكين انهم اصحاب الحق اذا كانوا اقل ذكاء من معلميهم ، اما اوطيخا وديوسكور وكنيسة الطبيعة الواحدة فلم تكن الا من النتائج المشؤومة لنقطة الانطلاق هذه الرئيسية وللعبارة القدسية التي كادت تكون مستحيلة والتي يصعب شرحها شرحاً وافياً ، عن طبيعة واحدة في المسيح.

❖

وكان ارتقاء نسطور سدة كرسي القسطنطينية ، في سنة ٤٢٨ ، مطامع عهد الاذى ، اما انطاكية التي بعثت الى هذا الكرسي قديساً وخطيباً يستبعد الاستماع هو يوحنا فم الذهب فقد ارسلت اليه ايضاً خطيباً آخر هو نسطور الذي كانت تحليه مزايا كثيرة ولاسيما الحزم.

وهذا الرجل الذي سيبدو بعدئذ من اعظم عناصر الضلال قد وصل الى القسطنطينية تفعم فؤاده الغيرة ضد الضلال والضالين بجرمانيه الاريوسيين والمقدونيين واتباع ابوليناير والنوفاسيين وبقية الفرق التي كانت لا تزال تحتفظ في احياء القسطنطينية بتعابد واتباع مبعثرين في ارجاء العاصمة.

ولما كان يستخدم الشدة استصدر ببضعة اسابيع بعد سيامته مرسوماً امبراطورياً صارماً جد الصرامة ضد جميع المنشقين ، وكان قد حمل معه من انطاكية تعاليم لاهوت كنيستها التي لم يكن تمثلها كل التمثيل وعبادة ضئيلة جداً لمريم العذراء.

ولا يعزب عنا خلو مواعظ القديس يوحنا فم الذهب نفسه من الاشارة الى اي نوع كان من التعبد لمريم العذراء على حين ان الامر لم يكن كذلك في

غير موضع ولاسيما في افسس حيث كانوا يعتقدون اعتقادًا خاصًا بحسب جميع ما تنمّ عنه الظواهر ان قبر والدة المسيح كان عندهم . أمّا كلمة « Θεοτόκος » « التي ولدت الاله » وهي تنمّ عن تعبّد قويّ لمريم العذراء، فيبدو انها امر جديد وقعه على مسامع نسطور بعد ان وصل الى القسطنطينية .

ألم تكن هذه الكلمة التي يستخدمها المؤمنون خارجاً عن تعليم نسطور تنم عن فكرة ضلال ؟ ألم تقل أوَ لم توشك ان تجعلنا نسلّم بان مريم هي التي نقلت الى ابنها الالوهية نفسها ؟ أوَ لا تفرض على الاقل ان هذا الطفل لم يكن انساناً حقيقة ؟ ألا تخفي تحتها شبح ابوليناير وغيره من رجال البدع الذين كان سيئهم الزعاف اشدّ وبالاً من سمّه ؟

ومن هذه الكلمة المتعلقة بمريم كانت ابتداء المعركة التي ازمع نسطور خوضها والتي غالى فيها كل المغالاة .

وفي سبيل تفادي كل غموض وربما في سبيل اشباع رغبته بفرض وجهات نظره على الشعب المسيحي قد اراد ان يقولوا : « Χριστοτόκος » « التي ولدت المسيح » .

وبسط نسطور والناطقون باسمه ومن جملتهم الكاهن انستاز وجهة نظرهم بعنف حيال ردة فعل المؤمنين والاكليريكيين القوية المتمسكين بما تعوّدوه من عبادة لمريم العذراء . ولم يكن ذلك من دون ان يشفّ عن تعليم بشأن التجسد اسوأ منه بحيث كاد يزول بهم اهتمامهم لايضاح حقيقة انسانية المسيح الكاملة الى ان لا يتركوا علاقة بين الطبيعتين غير علاقة شديدة الغموض : « اننا نريد تكريم الطبيعة التي هي لباس الله كما نريد في الوقت نفسه تكريم الطبيعة التي تستخدم هذا اللباس وبينما نفصل الطبيعتين لا نفصل بين تكريماتنا ؛ ونعترف به كانه مزدوج ولكننا نبتهل اليه كانه واحد » .

ولئن كان من الصعوبة بمكان التثبت من صحة هذا القول فقد اعرب فيه عن فكرة لا يستطاع التسليم بها فكرة مسيح اله وانسان مزدوج من حيث الكينونة ، وواحد فقط من حيث الوحدة الادبية ، الخارجية .

فالى اية درجة جعل نسطور العلاقة بين طبيعتي المسيح متراخية وكيف كان

اوّلاً كانماً بفكرته الشخصية ؟

وانه بمقدورنا ان نتساءل قائلين : لو كان غير صاحب السدة المنافسة لسدة القسطنطينية قد قام بهذه المناقشات بصورة ودية أفلم يفز باعتراف منه بالعقيدة المستقيمة ؟ بيد ان نكد الدهر قد شاء ان تتخذ هذه القضية مجرى آخر .

- وفي رومة عهد البابا القديس سلستين « St. Célestin » بدرس اوراق هذه الدعوى الى جان كاسيان « Jean Cassien » المعروف بكفاءته والمشهور بمواعظه عن اباء الصحراء « Pères du Désert » وقد بدا الحكم الذي اصدره هذا الاخير الذي كان مطلعاً على امور الشرق اكثر من غيره حكماً صارماً كل الصرامة على تعليم اسقف القسطنطينية .

وكانت وساطة كيرللوس الاسكندري الاكثر تضلعاً بين علماء الكنيسة اليونانية والراعي النيور اليقظ اشد خطورة ولكنه كان ابن شقيقة سلفه تيوفيلوس الانطاكي خصم يوحنا فم الذهب اللدود المتحيز ضد الذهبي الفم فكان حتى في ادارة شؤون كنيسته نفسها على شاكلته متغطرساً واحياناً متعسفاً مما افضي سلفاً الى ان تلاقي تنبيهاته وتحذيراته بشأن الايمان صعوبة ليقبلها اسقف القسطنطينية الذي كان اصله هو ايضاً من انطاكية كسلفه الشهير ضحية تيوفيلوس .

وكان كيرللوس محقاً كل الحق في هذه القضية ان يطالب علناً باسم الايمان المسيحي باعتراف صريح بوحدة حقيقية من حيث الكينونة لا من الوجهة الادبية او الخارجية فأيده البابا سلستين القديس « St Célestin » تأييداً تاماً وامر موفديه بان ينحازوا الى جانبه في المجمع الذي كان مزمعاً عقده .

وفي نهاية عهد تشابكت حوادثه من كل جانب افضى مجمع افسس المنعقد في ٢٢ حزيران ٤٥١ الى عزل نسطور والمناداة بتعليم كيرللوس وبفضل سكان تلك المدينة خاصة الى انتصار التعبّد المريمي والمناداة بجلسة بكلمة « Theotokos ».

والظروف التي تمت فيها هذه الامور لم تكن عادية تماماً لان نسطور وكيرللوس قد اتيا باساقفتها التابعين لهما معهما وبانصار مستعدين الّا يستنكفوا

عن اي عمل كان اذ حشدوا معها حتى الحامين ووصل حاملات قسطنطينية والاسكندرية العامين . وعقب انتظار طويل ممل استعجل كيرللوس افتتاح دورة ٢٢ حزيران وذلك قبل وصول بطريرك انطاكية والاساقفة الذين يصحبونه، وما انقضى يومان حتى وصل هؤلاء. وغاظهم ان تفتتح الدورة ولا ينتظروهم فجاوبوا على ذلك بعقد مجمع ضده اسقطوا فيه كيرللوس وممنون الافسسي . وآلت النتيجة الى قطيعة الاتصال بين الاسكندرية وانطاكية. اما نسطور فظل وحده معزولاً .

وفضلاً عن ذلك الانقلاب اخذ الاساقفة الشرقيون الذين انعقد المجمع بغيابهم على كيرللوس حرماناته الشهيرة وهي اقل تدخلاته توفيقاً . ففي تلك القوانين التي اصدرها قبيل مجمع افسس وارغم نسطور على توقيعها كانت العبارات التي استخدمها والمشتبه بها انها كانت تحوي تعليمه الخال عرضة على التداول لحرماناته ، وقد كان الانطاكيون يتعرفون فيها من جهة الى لغتهم الخاصة مع انهم كانوا يستشعرون ايضاً كل الاستشعار معرفتهم لمسيح واحد كما كانوا يرون من جهة ثانية في العبارات التي عارض بها كيرللوس نسطور مصطلحات قريبة جد القرب من مصطلحات اتباع ابوليناير ومن جملتها عبارة « الوحدة الطبيعية» التي كانت لا تزال موضع البت فيها «Canon 3. Denzinger 115» .

وعقب مشادات دامت سنوات عدة توصلوا اخيراً الى وصل ما انقطع وانتهى الامر بكيرللوس الى قبول عبارة « الطبيعتين » التي كان ينفر منها وان استخدام اشياعه لها لم يكن ضلالاً وقد شهر ذلك الحدث برسالة مفعمة بالحماسة : « لتفرح السماوات ولتهتز الارض بالغبطة » (١٢ نيسان ٤٣٣) .

❖

لم يتحقق اتحاد الرئيسين الودي يوحنا الانطاكي وكيرللوس على صعيد واحد لا لدى جميع الاسكندريين ولا عند جميع الانطاكيين .

وعلى اثر افسس ما لبثت ان تلت النسطورية في اورفه ومن ثم في نصيبين من اعمال فارس وكانت تعليمها الرسمي وان لم يكن شاملاً وقد ضاعف زعماؤها وغلواءها مذهب ناكري وجوب النعمة واصبحت التعليم الرئيسي لكنيسة فارس

الذي ظل حتى الآن تعليم الاشوريين .

ومن جملة انصار كيرللس ظل عدد كبير يجهل صك اتحاد سنة ٤٣٣ ولا يعترفون به ويرون في عبارة « الطبيعتين بيسوع المسيح » انها من النسطورية والالحاد ولو وجدت في اي نص كان ولو كان اصحابها من اشد الانصار الايمان بوحدة شخصية الاله الانسان الكاملة . وبحسب رأيهم كان ذلك امتحاناً باطنياً لحرمة سر الاتحاد الذي لا يحيط به وصف واعتراف بمسيحين واحلال اربعة اقانيم محل الثالوث .

وراجت في تلك الاوساط التي لم يكن يلتقي فيها لاهوتيون متضلعون متنورون مطاعن كثيرة من هذا النوع ولم تكن تلك الحماسة الحرقاء التي كانت محترمة الا من ضئيل الكثيرين من الرهبان لان المنظمات الرهبانية في تلك الحقبة لم يترقَّ فيها الى درجة القسوسية الّا اصحاب الحياة النسكية . وهي وان كانت تحث على الفضائل العالية والحياة النسكية لم تكن تدرب رجالها خير تدريب .

❖

وكان خير نموذج يمثل طائفة الرهبان تلك الارشمندريت اوطيخا «Eutychès» الذي كان قد انقضى عليه حتى سنة ٤٤٨ سبعون سنة يمارس الحياة الديرية وكان متقشفاً ورعاً . وتولى رئاسة دير في القسطنطينية عدد رهبانه ٣٠٠ راهب وكان كمثل رؤساء سائر رهبان المدينة الامبراطورية . وقد رأى فيه كيرللوس في عهد نسطور خير مناصر له . والى جانب المواهب العملية التي اوصلته الى الرئاسة قد كان ذا ذكاء قليل وموهبات ضئيلة لادراك المسائل اللاهوتية الصعبة ككثير من رؤساء الاديار في زمانه . ولما كان يضايقه بحث عقيدة التجسد في عبارات غير عبارات كيرللوس ، فقد اضاف اليها عن جهل على ما يظهر من تلقائه وفي احاديثه الكثيرة الرواج التي كانت مسموعة كثيراً عبارة من اضعف الاقوال التي يمكن الدفاع عنها . ألم يخطر له ببال ان ينكر ان المسيح مساوٍ لنا بالجوهر ؟ ومن المحتمل كل الاحتمال انه قد ارسلها في حالة ضعف عقلي زادتها ضعفاً على ضعف شيخوخته ومن دون ان يدرك النتائج التي يستطيع حتى المنطق البسيط

استنباطها منها . اما الكنيسة فلم تجاره بجملتها ، ففي القسطنطينية جمعة كانوا يعربون عن عقيدة التجسد عامة على الطريقة الانطاكية معترفين بالطبيعتين . اما انصار كيرلس ، القائلون بالطبيعة الواحدة فكانوا اشد تعصباً لارائه منه وكان يحلو لهم ان يفرضوا عبارة « الطبيعة الواحدة » .

وكان هؤلاء يقبلون بصورة مستقيمة ككيرلس نفسه بان في المسيح انسانية كاملة على شاكلة انسانيتنا لا التباس بينها وبين الالوهية ولا يرون حرجاً ان يعطوها بكلمة طبيعة او بما يعادلها اية دعامة مباشرة كانت وان يرفضوا كل تفسير يطابقة هذه الانسانية الكاملة لوحدة الطبيعة الالهية المتجسدة المطلقة . ومن ثم لم يعترفوا بأوطيخا كاب لتعليمهم بل بالعكس من ذلك قد حرموه مع بعض المخالفين واخرجوه من كنيستهم كمن دافع في المسيح عن اختلاط بين الاله والانسان .

ولما بلغت قضية اوطيخا اسقف القسطنطينية فلاڤيان « Flavien » والشك الذي سببه باقواله استدعاه امام مجمع اسقفية العاصمة سنة ٤٤٨ وحكمه بعد ان حاول عبثاً ان يحمله على توقيع عهد يلزم به نفسه بالاعتراف بالايمان المستقيم ، وهكذا دين مع اوطيخا عقيدة الطبيعة الواحدة وعميدها الجديد ديوسكور « Dioscore » الاسكندري وذلك بعد ان ادخل فلاڤيان في صورة صك الاعتراف عبارة « الطبيعتين » .

وان كان اوطيخا قد استحق هذا الحكم فانه كان مطلع ازمة خطيرة دينية وسياسية بآن واحد في كل الشرق .

وعرف الكرسي الاسكندري برئيسه ديوسكور رجلاً حزوماً مستعداً لاستخدام مسانديه في البلاط الامبراطوري وطاعة اساقفته الاجماعية وتعصب رهبانه وحتى تأهب رجاله لاتيان كل امر وذلك الى اقصى حد ممكن . وكان قد اكتسب تماماً تيودور الثاني المسكين العاجز وان كان ذا جبروت عظيم .

وقد كان البابا حينذاك القديس ليون «Léon» الذي عرضت عليه قضية اوطيخا فاسفر بحثها عن الوثيقة الجليلة وهي الرسالة «Tome» الى فلاڤيان التي كانت طبعاً باللغة اللاتينية غير المستخدمة في الشرق وبها نستسيغ ما فيها من عمق وجمال تعبير .

وعلى قدر حسن صنيع تيودور موبسيست فقد دلل البابا برسالته على تميز الطبيعتين وحقيقة الطبيعة الانسانية ووحدة الله والانسان في شخص واحد هو شخص الكلمة .

« كل طبيعة اذا من الطبيعتين لها ذاتها الخاصة مع انهما يتحدان في اقنوم واحد . فالجبروت اتحد بالتواضع ، والقدرة بالضعف ، والمتوتة بالازلية والطبيعة السامية بالطبيعة القابلة الالم وذلك لتدفع ثمن طبيعتنا البشرية . وهكذا لكي يقدم دواء لامراضنا ، كان يسوع المسيح الانسان والوسيط بين الله والناس ، خاضعاً للموت من جهة ومن جهة ثانية لا يموت . وهكذا لقد تجسد الله في طبيعة انسان حقيقي كاملة سامية فكان الها حقاً وانساناً حقاً . » (Denzinger 143)

ومن دون ريب كان من الواجب كما كان بالاستطاعة انجاز كل امر وتسويته على ضوء هذه الرسالة وقد عوّل القديس ليون في ذلك على فلافيان وشجعه تشجيعاً قوياً .

وكان ثمت ديوسكور الذي آزره عدة انصار متعصبين في جملتهم رهبان مصر والقسطنطينية وسورية كما عضده مساندون اقوياء. جد القوة في البلاط وحتى تيودور الثاني شخصياً .

وذلك الامبراطور الذي كان يستره مقرّبوه ولا سيما خصيّه كريزاف « Chrysaphe » لم تجدِ لديه وساطة طول ايامه لينيل القديس ليون « S'. Léon » مطالبه المنصفة وقد اظهر عجزاً مشهوداً عما كان يجري في ظل سلطانه من شذوذ ومخالفات .

وقد وجّه بعزل عن القديس ليون الدعوات لعقد مجمع جديد لاستأنف درس القضية من اولها وكان المرشح سلفاً لرئاسة هذا المجلس ديوسكور، ذلك المجلس الذي ابعدوا عنه ابرز اسقف من الاساقفة الشرقيين الا وهو تيودوره دسير « Théodoret de Cyr » لانهم اعتبروه كنسطوري وقرروا سلفاً عزله ودعوا خاصة لحضوره الارشمندريت برصوماس الذ خصومه . اما القديس ليون الذي لم يكن بمقدوره ان يرفض عقد ذلك المجمع فاوفد اليه ثلاثة سفراء ليتوبوا منابه وعهد اليهم بقراءة رسالته « Tome » الى فلافيان فيه .

ولم تعزب عنا النتيجة التي اسفر عنها اذ اجتمعوا بافسس في ٨ آب ٤٤٩

بالكنيسة نفسها التي عُقد فيها مجمع سنة ٤٣١ واجمع رأيهم على الصاق التهمة بفلافيان .

وكان مع ديوسكور من المسيطرين على المجمع البيدوس « Elpidius » اولوجيوس « Eulogius » يمثلان الامبراطور . وقد منع هذان الاخيران كل بحث حقيقي في قضية اوطيخا ولم يسمحا قط بقراءة رسالة القديس ليون وما اكتفوا بارجاع اوطيخا الى مقامه السابق وما كان له من الحقوق ولكنهم اصدروا حكماً فوراً ضد فلافيان الذي ما كاد يحتج حتى امر ديوسكور بفتح ابواب الكنيسة وادخل مع رجال الشرطة رهبان برصوماس والنوتيين وغيرهم من انصاره المصريين فانتزعوا فلافيان من على المذبح واشبعوه اهانة فمات بعد ايام قليلة .

وفي المجمع الخلقيدوني كان لا بد من القاء تبعة هذا الموت على عاتق الارشمندريت برصوماس . اما المجمع نفسه فلم يكن مجمعاً قانونياً . ولما اطلع القديس ليون على الامر من احد موفديه الذي استطاع بصعوبة كلية الهرب من المجمع والوصول الى ايطاليا نعته البابا القديس « بمجمع اللصوصية » وظل هذا الاسم يسم ذلك المجمع اللاشرعي بوصمة العار .

o

وفي حياة تيودور لم يكن يرجى ان يعوّض عن تلك المظالم فالقديس ليون وان كان قد سنده امبراطور الغرب فالنتينيان الثالث « Valentinien III » لم يفز بجواب على مطالبه الا بالنتيجة السقيمة وهي عدم قبولها فكان ذلك ظفراً لديوسكور وفوزاً للكرسي الاسكندري فوزاً مبيناً اكثر من ذي قبل على منافسيه فبلغت به الجرأة الى ان يصدر حكماً بالحرم حرماً غير شرعي على القديس ليون شخصياً . فلم يشبط ذلك عزيمة القديس ليون بل حاول ان يحمل صاحب كرسي القسطنطينية الجديد اناتول « Anatole » ، الذي عينه الامبراطور على قبول رسالته « Tome » والتوقيع عليها متعهداً بالزام نفسه بها .

وربما لم يقدر لتلك المحاولة النجاح من دون حدوث انقلاب يبدّل الحالة بطناً لظهر . ففي الثامن والعشرين من تموز ٤٥٠ توفي تيودور الثاني من جراء كبوة

جواده ولم يخلف له وريثاً وكانت الامبراطورة اودوكي « Eudocie » غائبة انذاك عن القسطنطينية اذ كان على خلاف معها فتسلمت شقيقته بولشيري « Pulchérie » زمام السلطة وكانت لا تزال بدون زواج وشديدة الاخلاص والتكالب بالعقيدة المستقيمة فما كان منها الا ان بدّلت بشكل سريع سياسة اخيها وانتهجت سياسة جديدة على طرفي نقيض من سياسة الامبراطور المتوفى . وفي سبيل توطيد حكومتها لم تتأخر عن الزواج باحد رجال مجلس الشيوخ مارسيان « Marcien » الطاعن بالسنّ وامرت بالمناداة به امبراطوراً في الرابع والعشرين من شهر آب التالي .

وفي عهدهما الجديد حدثت تبدلات جمة اذ امضى اناطول والاساقفة سواه في نهاية شهر تشرين الاول من السنة نفسها رسالة « القديس لاون والزموا النفس بمضمونها واظهر اناطول ذاته حماسة — ربما كان مرغماً على ان يوقعها ايضاً في مناطق اخرى . اما مكسيم اسقف انطاكية فلم ينقص في اعماله شيئاً عن اناطول ورجع عدد عديد من رجال « عصابة لصوص افسس » عن اقوالهم واقروا بضلالهم .

o

ربما كان بالاستطاعة تسوية كل امر من دون عقد مجمع جديد كما كانت رغبة القديس لاون الشخصية اما الامبراطور مارسيان « Marcien » فاصرّ على عقد مجمع فتقرّر واعدّ المجمع الخامس المسكوني الذي عقد في خلقيدونية اي في قاضي كوي الحالية القائمة على ضفة البوسفور الاسيوية قبالة القسطنطينية .

o

كان عدد آباء المجمع يربو على خمسمئة ، جميعهم شرقيون ما عدا موفدي القديس لاون واثنين آخرين من افريقية . وجرى افتتاحه في الثامن من تشرين الاول ٤٥١ في كنيسة القديسة اوفيميا « Euphémie » وعقدت آخر دوراته في الايام الثلاثة الاخيرة من الشهر نفسه . اما قضية اوطيخا فلم تبقَ بحاجة الى ان تُفضّ منذ ارتقى مارسيان العرش وبعد ان اسدل عليها الستار نهائياً .

وكان لا بدّ للمجمع من وضع حدّ للقضيتين اللتين ما برحتا قائمتين وهما : الاولى الفراغ من اقرار صيغة عبارة ايمان الكنيسة بمعتقد التجسد اقراراً حاسماً والثانية انهاء قضية الاساقفة الذين عُزلوا بدون حق في افسس والاساقفة

الذين حكموا عليهم ظلماً . بيد ان الامر لم يكن سهلًا لانه على رغم ما كان من ثقل، لمساندة الامبراطور، في الميزان قد ظل هناك عدد كبير من الاساقفة لا يميلون قلبياً الى تأييد رسالة القديس ليون والتعهد بالزام النفس بها، تلك الرسالة التي اعلنت الطبيعتين، كما ظلّ منهم من يعارض معارضة قوية في ارجاع بعض الذين جردوا من حقوقهم الى مناصبهم كتيودوره دسير «Thédoret de Cyr» واياس الاورفي «Ibas d'Edesse» خاصة .

وكما جرى في افسس من قبل سنتين فقد كان هناك من اعلنوا تأييدهم ولكنه كان تأييدًا خاليًا من كل حماسة وكان من بين هؤلاء حتى اشد المتواطئين في افسس مع ديوسكور كجوفنال المقدسي « Juvénal de Jérusalem » الطموح، ومع ذلك فان بعضهم اخلص في عمله واعلان اذعانه وموافقته .

وقصارى القول لقد تمكنوا بمهارة من اظهار الاتفاق الحقيقي القائم بين تعليم كيرللوس الاسكندري صاحب النفوذ العظيم في نظرهم وبين رسالة القديس ليون .

وذلك الاتفاق الحقيقي الذي كان يقوم بين تعليم كيرلوس ورسالة القديس ليون واستنبطوه بمهارة لم يكن فهمه سهلًا في الشرق كله على اولئك الذين كانوا قليلي التعليم ولاسيما على الاكليريكيين والرهبان او العلمانيين الذين كانوا لا يزالون متمسكين بالقول بطبيعة واحدة في يسوع المسيح .

وما خلا هذا فقد ظل هناك معارضون صعبي الشكيمة فديوسكور الذي لم يكن يرجو مطلقاً العفو عنه قد رفض بعنجهية الانصياع وجرّ وراءه بمثله الاساقفة المصريين وبعض اساقفة ولاية ايليري « Illyrie » .

وفي غضون الدورة الثانية سُمعت من بين هتافات المجتمعين المتعالية العبارة الشهيرة التالية « تكلم بطرس بفم ليون واعلن الشرق هكذا باجمعه ان اسقف روما هو خليفة امير الرسل .

ومما اثار مقاومة موفدي القديس ليون ارادة آباء المجمع ان لا يقصروا عملهم الاعتقادي على توقيع رسالة البابا والموافقة عليها وانما كانوا يفتقرون الى صيغة للعقيدة وقد توصلوا اليها مع بعض المشقة واقروها كما كانت اختصارًا حسناً لتعليم القديس ليون .

« نعترف كلنا بصوت واحد [illegible] ابن واحد [illegible] يسوع المسيح ، ذي الالوهة الكاملة والبشرية الكاملة ، الاله الحق والانسان الحق ، الحامل نفساً عاقلة وجسداً ، المساوي للآب في الألوهة ، المساوي لنا في البشرية ، الذي شابهنا في كل شيء ما عدا الخطيئة ، المنبثق من الآب قبل كل الدهور حسب الالوهة ، الذي نزل في الايام الاخيرة لاجلنا ولاجل خلاصنا حسب البشرية وتجسد من مريم العذراء ام الله . وهو المسيح الاله الابن المولود ذو الطبيعتين الغير المختلطتين ، فلا تبادل بينهما ولا انقسام ، ولا تدرك الواحدة منها دون الاخرى ؛ وهما متحدتان اتحاداً مطلقاً لا انفصال فيه بينهما مع ان كل طبيعة لها ذاتها الخاصة وينتج عنها اقنوم واحد ووجود واحد لا اقنومان متجزاان او منفصلان ، بل واحد هو الابن المولود الاله الكلمة يسوع المسيح . كما قال عنه الانبياء من قبل هكذا هو ذاته يسوع المسيح علمنا وورثنا منه قانون الاباء» (Denzigner 148).

وكان لا بد لتعريفهم هذا من ان يكون العبارة الحاسمة بشأن عقيدة تجسد يسوع المسيح وايمان الكنيسة بها فكان واضحاً كل الوضوح ولم يبقَ من سبيل معه لنشوب حوادث جديدة او بدع على شاكلة التي كان زعيمها ابوليناير او نسطور.

ولم يكن، من سوء الحظ ، بالامكان الاحتفاظ في هذا التعريف بطابع لغة كيرللوس القائلة بالطبيعة الواحدة وبعبارة انطاكية وليون والغربيين اجمع القائلة بالطبيعتين . وفي سبيل التعرف الى الوحدة القائمة في الفكرة المستقية في لغتي كيرللوس والقديس ليون لا بد من بعض حدة في الذهن. اما انصار لغة كيرللوس التي لم يقبلها المجمع فلا بدّ من تواضع لاختيار الكنيسة دستوراً آخر لهذه العقيدة.

وعرف كيرللوس ان يقيم الاتحاد موقتاً بما خفض من جناحه ولو قدرت له الحياة بضع سنين ايضاً لعرف من دون شك ان يجتث النزاع او ان يخففه .

وعقب ديوسكور الذي عزله بحق المجمع الخلقيدوني ونفاه وتحوّل في نظر انصاره الى بطل او ما يشبه الشهيد نشبت ردة فعل باسم الطبيعة الواحدة في المسيح بمصر وجزء كبير من سورية وارمينية وكانت الثورة والانشقاق .

وكان القسط الاعظم من الشر في تاريخ حركة الطبيعة الواحدة يعود غالباً الى تدخل السلطة المدنية تدخلاً اخرق .

ولم يكن رائد تلاميذ اوطيخا المسكين الّا الانفصال عنه وعن ضلاله ، ذلك الضلال الذي يحصب تعريفه ، بما يتعلق بانسانية المسيح . ولم تعارض رسالة القديس ليون ولا تعريف خلقيدونية شيئاً من تعليمهم وهو تعاليم

القديس كيرللوس، ولم يتراجعوا عن ان يرشقوا الاثنين بالحرم على زعم منهم انهم قد وجدوا فيها نسطور نفسه . ولم يعرفوا او انهم لم يريدوا ان يعرفوا علماً لاهوتياً وان كان مستقيماً واضح الاستقامة وان اثبته المجمع المسكوني لانه ابى بعلمهم ولا يستخدم عباراتهم .

ولنذكر في هذا الصدد ان تعريف خلقيدونية قد استمد عبارة من القديس كيرللوس باعترافه بان الطبيعتين في المسيح تتوحدان بشخص واحد واقنوم واحد. فان عبارة «وحدة اقنومية» مردّها الى كيرللس وهي موجودة في الحرم الثاني من حرماناته (Dz 114) اما لفظة شخص فحجوبة المعنى لدى بعض النساطرة وحتى انها غامضة نوعاً لدى علماء انطاكية اللاهوتيين واما لفظة اقنوم فتدلّ اين يجب وضع وحدة المسيح ، في شخص الكلمة نفسه الموجود بذاته والذي يدعم الطبيعة الانسانية التي تكوّنت في احشاء مريم العذراء ، تلك الطبيعة التي لا وجود لها بذاتها . ان جميع علومنا اللاهوتية بشأن التجسد ما برحت تستنير به وترسخ حول هذه النقطة الرئيسية .

٥

ولا نستطيع النسيان ان هذا المجمع نفسه الذي نادى بالقديس ليون خلفاً لبطرس في احدى جلساته التي كان موفدو البابا غائبين عنها نصّ في القانون الثامن والعشرين على امتيازات كرسيّ القسطنطينية فاحتج عليها ليون وكان من نتائجه يوماً القطيعة بين بيزنطية وروما .

وبمناسبة هذه الذكرى المئوية الخامسة عشرة لانعقاد المجمع العظيم على رغم ما صودف فيه من مقاصد بشرية شتى وما رافقه من نقصان في التنظيم وما نجم عنه من ردّات فعل مؤلمة وانشقاقات، ألا يجدر بنا ان نحتفل به وبالعمل التعليمي العظيم الذي قام به ؟

ان من واجب حياتنا الدينية اليوم، حيال عالم انحرف بعض الانحراف عن المسيحية ، ان نتقرّب شخصياً من المسيح اكثر من الماضي وان تتحول قوتنا الى ان نجعله معروفاً في انجيله وفي كنيسته ، وعلينا ان نستمدّ النور من عقيدة خلقيدونية التي تجعلنا نجده مسيحاً واحداً الهاً حقيقياً وانساناً حقيقاً فنحبه .

— -